وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أركون.. تميز عن الجميع في منهجه لكنه داعية علماني متشدد

رضوان السيد

الشرق الأوسط **الخميس 07 شوال 1431 هـ 16 سبتمبر 2010 العدد11615**

محمد أركون هو واحد من خمسة أو ستة كتبوا في الفكر الإسلامي، القديم والحديث، في الأربعين سنة الماضية، وهم معروفون، منهم عبد الله العروة، محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ومحمد عمارة، وعلى رأس هؤلاء جميعا محمد أركون، لأنه أقدمهم كتابة، فهو يؤلف منذ الستينات. وحينما أتحدث عن خمسة أو ستة دون غيرهم، فإنما أقصد من يملكون أطروحات في تاريخ العقل الذي يسمونه «عربيا» تارة، و«إسلاميا» تارة أخرى. محمد أركون متميز عنهم كلهم في المنهج، فغرضهم عموما - ما عدا محمد عمارة، لأنه إسلامي - مع اختلاف مناهجهم، كيفية الخروج من الموروث والدخول في الحداثة، لذلك كل منهم قرأ التراث، هناك من أراد تجاوزه، وثمة من سعى للتحرر، وكل استخدم التوصيف الذي يناسبه. الجابري وأركون متناظران مختلفان في منهجية الخروج من التراث. فمحمد عابد الجابري يعتمد، لأنه ماركسي في الأصل، «الحاكمية التاريخية» و«الابستمولوجية» للنص من أجل التحرر منه، أما أركون فيريد تفكيك النص، لأنه يعتبره كامنا في تلافيف العقل، وكسره في الخارج يعني كسره في الداخل أيضا.

بدأ محمد أركون فيلولوجيا محترما، في كتابه عن مسكويه «نزعة الأنسنة في الفكر العربي»، لكنه ما لبث في أواسط السبعينات أن نقد الاستشراق، وأطلق ما سماه «الإسلاميات التطبيقية». وهي نظرية طبقها على نصوص في القرآن، ونصوص من القرن الرابع، وما شابه. أما في الثمانينات فنلحظ عنده نضوج تحطيم الدوغمائيات والهجوم على الأرثوذكسية السنية، وعمل بعد ذلك ثلاثين عاما على هذا النهج مع خروج منه، في بعض الأحيان، ودخول في نقاش حاد مع العنصريين الغربيين.

لا أنكر أن محمد أركون إنساني كبير، لكن ثمانين في المائة من كتاباته ومحاضراته، وهو رجل مكثر، تدور حول تحطيم الدوغمائية والأرثوذكسية السنية، واضعا برامج لذلك. كما شغله موضوع كيف نخترق المفكر فيه، باللامفكر فيه، وكرر كثيرا خلال العشرين سنة الأخيرة، في كتاباته، أنه يجب أن نفعل كذا ولا نفعل كذا، ولكننا لا نرى تطبيقاته العملية على ذلك.

ما أقوله ليس تسخيفا أو تقليلا من شأن أركون، فهو مناضل كبير، لكن مشكلته تحديدا في نضاله الذي حوله إلى داعية علماني متشدد، مثل الإسلاميين المتشددين، لذلك كان الإسلاميون يكرهونه ويكرههم، وعنده طلاب مناضلون مثله، يحملون أفكاره وينافحون عنها.

في السنوات العشر الأخيرة، عدل أركون مواقفه بعض الشيء، عاد إلى كتبه الأولى، وصار انتقائيا، لا ينكر أهمية الاقتداء ببعض ممن كان لا يرى فيهم قدوة في فترة ما، معتبرا أن العودة إليهم تشكل مجرد انطلاقة أو بداية.

كان مثلا، في السابق يهاجم الجابري، لأنه مفتون بابن رشد وابن سينا، لكنه عاد وكتب عنهما وعن ابن خلدون كلاما جيدا. كتبه الثلاثة التي ترجمت إلى العربية وصدرت مؤخرا في عامي 2009 و2010، نرى فيها بوضوح عودة إلى روح كتبه الأولى، وميله لشيء من العودة إلى التراث بأسلوب انتقائي مع ليونة تجاه ابن خلدون وابن رشد، على سبيل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المثال، من خلال اعتقاده بإمكانية العودة إلى بعض من أفكارهما والاستفادة منها، لكنه بقي مهاجما للعقيدة السنية دون أن يطرأ أي تعديل على وجهة نظره هذه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

محمد أركون.. رحيل المفكر الأساسي

هاشم صالح

الشرق الأوسط **الخميس 07 شوال 1431 هـ 16 سبتمبر 2010 العدد11615**

هذا زمن الرحيل.. بالأمس محمد عابد الجابري واليوم محمد أركون وبينهما نصر حامد أبو زيد. ثلاثة من أقطاب الفكر العربي الإسلامي يرحلون في بحر أشهر معدودات. وكنا في أمسّ الحاجة إليهم ولمواصلة أبحاثهم وتجديداتهم. فالعالم العربي أصبح يتيما بعد غيابهم. وذلك لأن المجددين في الفكر الإسلامي ليسوا كثيرين إلى الحد الذي نتصوره. إنهم يعدون على أصابع اليد الواحدة أو اليدين. كان أركون منخرطا في وضع اللمسات الأخيرة على فكره وإعطائه صيغته النهائية. ولكن لم يخطر على بالي أنه كان في سباق مع الزمن. كنت أتوقع أنه سيعيش مثل أستاذه وصديقه الفيلسوف الفرنسي بول ريكور: أي فوق التسعين. ولكنه لم يتجاوز الثمانين إلا قليلا. وكنت أتمنى له العمر المديد لكي يحل لنا المشكلات التراثية العويصة قبل أن يرحل. ولكن الأعمار بيد الله. عندما اتصلت به لآخر مرة قبل أربعين يوما فقط، لم يكن يخطر على بالي إطلاقا أنه على وشك الرحيل. فقد جاءني صوته على الخط قويا، واثقا، متفائلا، وأكاد أقول شابا. في السنوات الأخيرة كان محمد أركون يتبع طريقة أدهشتني؛ وهي أنه يعيد كتابة نصوصه القديمة بعد إجراء تعديلات وتحسينات وإضافات كثيرة عليها. هذا ما فعله مثلا مع نصه الكبير عن «مفهوم العقل الإسلامي». فقد نشره لأول مرة قبل ثلاثين سنة ثم أعاد كتابته مؤخرا وتوسيعه وتعميقه. وكنت أنتظر بفارغ الصبر ما سيقوله عن موضوع آخر حساس جدا ألا وهو «الصراع المذهبي في الإسلام» وبالأخص الصراع السني - الشيعي. وكان قد كتب بحثا عن الموضوع قبل ثلاثين سنة أيضا بعنوان «نحو توحيد الوعي الإسلامي المتشظي». ولكنه يعتبر بدائيا بالقياس إلى ما كان سيقوله الآن بعد أن نضج فكره واتسع وبلغ الذروة.. كنا ننتظر إضاءاته عن الموضوع للخروج من هذا الانقسام الخطير الذي يهدد الأمة ويبدد الطاقات ويتيح للخارج أن يستغل الوضع ويفتتنا أكثر فأكثر. كان أركون ذا نية طيبة؛ أي يحب دائما أن يجمع لا أن يفرق. كان فيلسوف النزعة الإنسانية في الفكر الإسلامي. كان يحبك في الإسلام وتراثه عندما يتحدث عنه، ولكن الإسلام مجددا، مضاء بنور العقل، وعظمة الفكر.

أعترف بأني فجعت برحيل أركون المفاجئ وغير المتوقع على الإطلاق. لم يكن صوته على الخط يوحي بأنه سيرحل بعد خمسة أسابيع فقط. لم يعطني هذا الانطباع على الإطلاق. لم أكن أعرف أنه مريض فعلا.

أو قل: لم أكن أتجرأ على مساءلته والدخول في تفاصيل قضية حساسة من هذا النوع. من هنا صدمتي ودهشتي وألمي. لقد كان محمد أركون بالدرجة الأولى أستاذا كبيرا، أي بروفسورا حقيقيا. وكان خطيبا مفوها لا يشق له غبار وبخاصة في اللغة الفرنسية. كانت متعة ما بعدها متعة؛ أن تستمع إليه وهو يتحدث عن شؤون الفكر الإسلامي وشجونه. عندئذ كان يصول ويجول على هواه. وكان دائما يقارن بينه وبين الفكر المسيحي أو العلماني في أوروبا لكي تتضح الصورة أكثر فأكثر؛ فبضدها تتميز الأشياء. وعندئذ تجيء الإضاءة مضاعفة وتنفتح أمامك أكوان معرفية لم تكن في الحسبان. عندئذ تفهم الأشياء عن جد. عندئذ تفهم سبب التقدم والتأخر، النهضة ثم الانحطاط. بل وكان يعطينا المفاتيح القادرة على استنهاض المسلمين والعرب من جديد. كان أستاذ تاريخ الفكر المقارن بامتياز. كنا بعد حضور دروسه لا نفهم فقط تاريخنا وإنما أيضا تاريخ الآخرين. كان يرتفع بك إلى أعلى مستوى معرفي ممكن. وأحيانا تتعب، تلهث، لا تستطيع أن تجاريه. كان يتحدث أمام الطلاب بكل تمكن واقتدار. وكنا نهابه ونحترمه ونعرف قيمته الاستثنائية. بل وكان يفرض هيبته حتى على كبار أساتذة الجامعة الفرنسية في الملتقيات والندوات والمؤتمرات. وكان ذلك يدهشني جدا ويملؤني فخرا واعتزازا. فما كنت أتوقع أن يتجرأ مفكر من أصل مسلم جزائري على مواجهة كبار مفكري فرنسا على أرضيتهم الخاصة بالذات. أعتقد أنه لم يكن هناك إلا شخص واحد يمكن أن يجاريه في هذا المجال هو إدوارد سعيد، الذي رحل هو الآخر أيضا قبل الأوان.

برحيل أركون تطوى صفحة من حياتي أنا الآخر أيضا. فقد ارتبط اسمي باسمه كمترجم أساسي لأعماله، وإن لم أكن المترجم الوحيد، على عكس ما يظن الناس. أيا يكن من أمر فقد كنت المتحمس الأكبر لمشروعه الفكري، ولا أزال. كنت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أعتقد أنه «المنقذ من الضلال» والانغلاق والظلام بالنسبة للعالم العربي والإسلامي كله. كان أركون ذا منهجية واضحة، ومصطلح دقيق، وعلم مكين. وكان متشددا، صارما، مع نفسه ومع الآخرين. كان يجبرك وأنت تترجمه على أن تطلع على كل نظريات العلوم الإنسانية والفلسفية والأبستمولوجية. وهكذا تضرب عصفورين أو حتى ثلاثة بحجر واحد. بعد قراءته أو الاستماع إليه كنت ترى التراث الإسلامي بعيون جديدة غير السابقة. كنت تشعر بأنك أصبحت فجأة أكثر ذكاء وعبقرية. كان تاريخ الإسلام كله يضاء أمام عينيك دفعة واحدة. من هذه الناحية لا يجارى. وأعتقد شخصيا ودون مبالغة، أنه المجدد الأكبر للإسلام في عصرنا الراهن. كنت قد تحدثت عن إضاءاته الفكرية لتراثنا العربي الإسلامي أكثر من مرة. ولا أستطيع أن أغوص هنا في خضم أكبر معركة فكرية في تاريخنا. يكفي أن أقول بأن صاحب مشروع «نقد العقل الإسلامي التقليدي» لم ينتظر تفجيرات 11 سبتمبر (أيلول) لكي يدق ناقوس الخطر ويدعو المسلمين والعرب إلى خوض المعركة الحاسمة مع الجمود الفكري ورواسب الذات التراثية. منذ خمسين سنة وهو يجدد هذا التراث ويفكك تراكماته الخانقة ويطبق عليه أحدث المناهج العلمية والمصطلحات الفلسفية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المفكر الجزائري محمد أركون الراحل رائداً لـ ' الإسلاميات التطبيقية '

2010-09-16

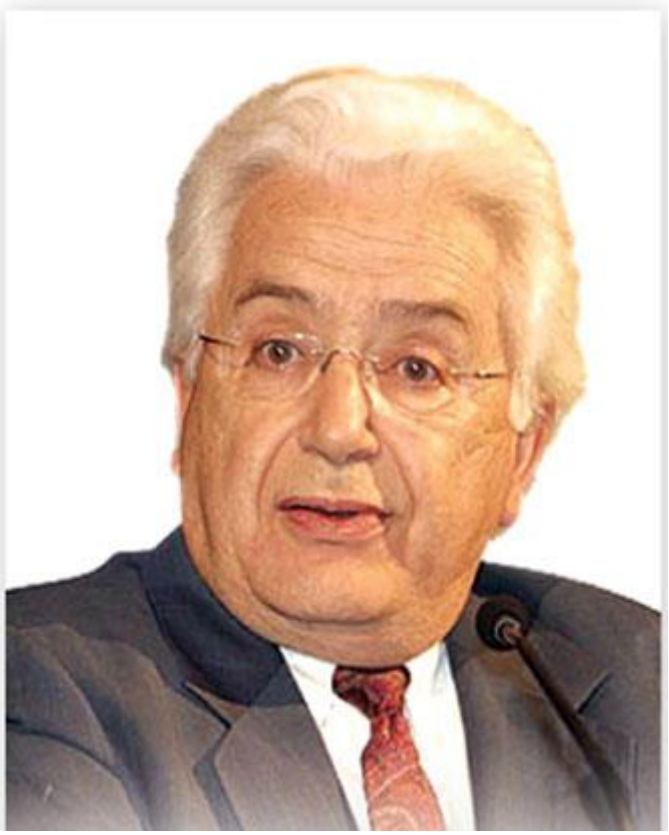

باريس ـ لندن ـ ا ف ب ـ ' القدس العربي': خسرت الساحة الثقافية والفكرية العربية المفكر البارز محمد اركون، أحد كبار الباحثين والمتأملين في الفكر الاسلامي، وأحد ' دعاة' الحوار بين الاديان، وذلك مساء الثلاثاء في باريس عن 82 عاما، كما اعلن احد المقربين منه الأب كريستيان ديلورم.

ولد محمد اركون في 1928 في قرية توريرت ميمون الصغيرة بمنطقة القبائل (شمال شرق الجزائر)، في بيئة اجتماعية بالغة التواضع. وبعد انهاء الدراسة الابتدائية في قريته، اتم دروسه الثانوية لدى الآباء البيض في وهران (شمال غرب) ثم درس الادب العربي والحقوق والفلسفة والجغرافيا في جامعة الجزائر العاصمة.

وذكر كريستيان ديلورم، أن اركون قد أعد، بمساعدة من الاستاذ الجامعي الفرنسي الباحث في مجال الدراسات الاسلامية لوي ماسينيون، شهادة الاستاذية في اللغة والادب العربيين في جامعة السوربون.

ثم تولى التدريس في عدد من الجامعات قبل ان يعين في 1980 استاذا في السوربون الجديدة– باريس 3. ودرس فيها تاريخ الفكر الاسلامي وطور اختصاصا هو الاسلاميات التطبيقية.

ومنذ1993 ، بات استاذا متقاعدا في السوربون، لكنه استمر في القاء محاضرات في كافة انحاء العالم. وكان محمد اركون مقتنعا بأن الحدث التاريخي الذي مثله ' الكلام القرآني الذي تجسد نصا' لم ينل الاهتمام العلمي الذي يستحقه، وانه لا بد من البدء بعمل ورشات علمية واسعة بهذا الشأن.

ويقول اركون ان ' التعريفات الثلاثة للوحي :اليهودي والمسيحي والاسلامي لا يمكن فصلها بعضها عن البعض الاخر وان دراستها تقدم الى كل منها اضاءات مفيدة.'

وفي العام 2008، تولى ادارة مشروع ' تاريخ الاسلام والمسلمين في فرنسا من القرون الوسطى حتى اليوم'،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهو كتاب موسوعي شارك فيه كثير من المؤرخين والباحثين (منشورات البان ميشال). وهو يروي ويشرح تاريخا مشتركا يعود لمئات السنين.

واشتهر الباحث الذي استخدم اللغة الفرنسية وسيطا له باستخدام مناهج علمية عدة بينها الانثروبولوجيا التاريخية واللسانيات وأدوات قراءة التاريخ في دراسة الأديان والنصوص الدينية.

وقد كتب أركون واصفا عمله ضمن ما أطلق عليه مسمى ' مجموعة باريس' داخل الجماعة الأوسع للبحث الإسلامي المسيحي ' حاولت أن أزحزح مسألة الوحي من أرضية الإيمان العقائدي (الأرثوذكسي) والخطاب الطائفي التبجيلي الذي يستبعد (الآخرين) من نعمة النجاة في الدار الآخرة لكي يحتكرها لجماعته فقط .قلت حاولت أن أزحزح مسألة الوحي هذه من تلك الأرضية التقليدية المعروفة إلى أرضية التحليل الألسني والسيميائي الدلالي المرتبط هو أيضا بممارسة جديدة لعلم التاريخ ودراسة التاريخ.'

وترك مكتبة واسعة من المؤلفات بينها: نزعة الانسنة في الفكر العربي، الفكر الاصولي واستحالة التأصيل، الاسلام – اوروبا – الغرب: رهانات المعنى وارادات الهيمنة، اين هو الفكر الاسلامي المعاصر؟، الفكر الاسلامي: نقد واجتهاد، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية وغيرها.

يشار إلى أن الساحة العربية شهدت العام الحالي رحيل عدد من رموز الفكر والأدب بينهم المفكر والفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري والروائي الجزائري الطاهر وطار والباحث المصري نصر حامد ابو زيد والأديب والدبلوماسي السعودي غازي القصيبي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

محمد أركون و'اللامفكّر فيه'في الثقافة الإسلامية

مالك التريكي

2010-09-17

كان الأستاذ محمد أركون، الذي انتقل إلى رحمة الله في الرابع عشر من هذا الشهر، مفكرا بصيغة الجمع. فريقا بحثيا في رجل. تصدى بمفرده لقضية أكاديمية جليلة الخطر كان موقنا أنه لا قبل لأحد بها: قضية تأسيس تاريخ جديد للفكر الإسلامي –تاريخ منفتح– انطلاقا من 'نقد العقل الإسلامي' الموروث. ونظرا إلى أن هذا المشروع، الذي أطلق عليه اسم "الإسلاميات التطبيقية"، هو مشروع شائك وشديد الطموح، فقد ظل يدعو منذ أواخر الستينيات إلى أن تتجند له مجموعة متنوعة من الباحثين حتى تتضافر في إخصابه مختلف المقاربات والإضاءات التي يمكن أن تثمرها العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ورغم أن هذه الدعوة لم تلق إلا استجابة محدودة (حيث لا يكاد يكون للأستاذ أركون أتباع أو ورثة موضوعيون إلا في بعض الأوساط الجامعية في تونس والمغرب)، فقد ظل عاكفا طيلة أربعين عاما، في جهد دؤوب متصل، على بلورة هذا المشروع الراديكالي. بل إن ما يدعو إلى الإعجاب حقا هو أنك كلما لقيته وجدته يتقد في سبيل هذه القضية الفكرية حماسة، كما لو أنه قد باشر العمل فيها للتو. وقد حظيت أعمال أركون باحترام بالغ في الأوساط الفكرية الأوروبية والأمريكية ولدى نخبة متخصصة من الباحثين والمثقفين العرب. بل إنه نال في الغرب شهرة لم ينلها أي من باحثي الدراسات الإسلامية العرب سوى نصر حامد أبو زيد. لكنه ظل ينعى على المؤسسات الجامعية والساحة الثقافية في الوطن العربي عدم الاطلاع ولو على بعض من إنتاجه الغزير، ناهيك عن ارتياد ما يفتحه من آفاق فكرية .

ولشهرة أركون في الغرب أسباب. منها أنه استقر في السوربون منذ بداية الستينيات (في تزامن مع استقرار ادوارد سعيد أستاذا في جامعة كولومبيا)، ومنها أنه خاض هو أيضا معركة ضد الاستشراق (ولو أنه فعل ذلك بأسلحة إبستمولوجية – مغايرة لأسلحة ادوارد سعيد– ضد محدودية المقاربات اللغوية والفيلولوجية الموروثة عن القرن التاسع عشر). لكن أهم هذه الأسباب، في رأينا، هو أن إشكالية أركون المركزية (نقد العقل الديني) هي إشكالية مألوفة في الفكر الغربي منذ بداية عصر الأنوار، باعتبار أن التنوير الغربي قد انبنى على التأسيس لمشروعية نقد الدين ونقد السلطة. كما أن النتيجة المنطقية لمشروع أركون (تبيان تاريخية النص

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

القرآني)، مثلما يتضح على وجه الخصوص في كتابه "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، هي غاية مقبولة بل مطلوبة لدى الفكر الغربي المعاصر الذي يعدّ كل "كتاب"، توراة كان أم إنجيلا أم قرآنا، مجرد نص من تأليف البشر لا بد من فكه وتشريحه بأحدث أدوات العلوم الاجتماعية ومناهجها، أي لا بد من إرجاعه إلى نسبية سياقه الثقافي وظرفية نسجه الإنشائي. وبما أن الفكر الغربي لا يقرّ بأي أفضلية للقرآن الكريم على العهدين القديم والجديد، وبما أنه يستهجن أن يعتقد أي باحث بأفضلية أي من هذه النصوص الدينية على نصوص هوميروس أو شكسبير مثلا، فإن من غير المستغرب أن يرى هذا الفكر في علاقة محمد أركون بالمنظومة الإسلامية تماثلا مع علاقة سبينوزا بالمنظومة اليهودية والمسيحية: أي علاقة قائمة على "نزع القدسية"، سواء صح ذلك في حالة أركون أم لم يصح. إذ إن التصورات والانطباعات كثيرا ما تكون، في مثل هذه الشؤون، أشد عنادا من الوقائع والمقاصد.

ولعل أحسن ما يعبر عن الأفق المعرفي الذي كان الأستاذ أركون يرنو إليه هو عنوان "اللامفكّر فيه في الفكر الإسلامي المعاصر" الذي وسم به كتابه الذي صدر بالإنكليزية عام 2002. فقد ظل طموحه يتمثل في البحث عن المطموس والمسكوت والممنوع (إضافة إلى المحرّم الذي كان يحرص على التفريق بينه وبين المقدّس) في صلب الثقافة الإسلامية لأنه يعتبر أن استدامة موروث "اللامفكّر فيه" و"اللاقابل للتفكير فيه" هي التي لا تزال تحول دون بروز حركة إصلاح ديني وانبلاج فجر نهضة تؤسس لحداثة إسلامية منفتحة. على أن من الجدير بالتذكير أن اللامفكر فيه موجود في كل الثقافات، مثلما بيّن قبل حوالي ثلاثين عاما أبرز نقاد الثقافة الأمريكية، نعوم تشومسكي، في مقال بديع شهير بعنوان "حدود الفكر الممكن التفكير فيه."

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أركون واللقاءات الأولى

رحل قبل ان يكمل مشروعه الفكري تماما

هاشم صالح

الشرق الأوسط: الاحد 10 شوال 1431 هـ 19 سبتمبر 2010 العدد 11618

أشعر بألم حقيقي؛ إذ أتحدث عنه بضمير الغائب الآن، بعد أن كان ملء السمع والبصر بالنسبة لي طيلة ثلاثين عاما خلت. كان الأفق الفكري الذي لا يمكن تجاوزه كما قال سارتر مرة عن الماركسية. وكما هي العادة دائما بعد الغياب الصاعق والمفاجئ، فإن شريط الذكريات يعود بك إلى الوراء لا محالة، إنه يشدك إلى اللحظات الأولى. ينبغي العلم بأني التقيت بمحمد أركون لأول مرة خريف عام 1977. كنت آتيا من بيزانسون وبوردو حيث أكملت دورة اللغة الفرنسية وأصبحت قادرا على أن أصفّ عشر كلمات بالفرنسية وراء بعضها البعض. واعتقدت أني فتحت العالم وأصبحت قادرا على فهم أعوص النظريات الفكرية. وكانت رأسي تضج بالتساؤلات حول العلاقة بين التراث والحداثة، الغرب والشرق.. ينبغي العلم أنه قبل خروجي من الوطن الغالي، كان توتري الفكري والنفسي قد بلغ درجة مخيفة من التأزم والتفاقم. في مثل هذا الجو المكهرب ذي التوتر العالي الأقصى التقيت بمحمد أركون. وكان اللقاء علاجا مسكنا على كافة الأصعدة النفسية والفكرية. أركون كان مثل كانط: راجح العقل، متوازنا كل التوازن، يعرف ما يريد. وأما أنا فكنت أقرب ما أكون إلى شخصيات بوهيمية، متوترة، لا تعرف ما تريد وربما لا تريد أن تعرف أصلا! كنت أتسكع على غير هدى في دروب تؤدي إلى لا مكان كما يقول هيدغر. إنها شخصيات فوضوية، قلقة، من نوعية روسو أو نيتشه أو رامبو أو ريلكه. وبالتالي فربما كان هذا التناقض بين الشخصيتين هو الذي أدى إلى حصول تفاهم وتعاون طويل الأمد. الإنسان يبحث عما ينقصه، وقد وجدت لديه ضالتي. كنت من كثرة همومي المطبقة، إن لم أقل كوابيسي المرهقة، لا أعتقد بوجود أية أجوبة شافية على الأسئلة التراثية التي تضج في رأسي. كنت أعتقد أنها أكبر منا جميعا ولا أحد بقادر على تشخيصها وعلاجها. وكنت بصراحة أعتقد أننا سائرون نحو الهاوية. كنت خائفا جدا على مجتمعاتنا العربية من التفكك والانهيارات. وللأسف فإن السنوات التالية لم تكذب مخاوفي. ولم تكن أفكار المثقفين العرب التي اطلعت عليها قبل الخروج من سورية تشفي الغليل ولا تروي العليل. كنت أراها هزيلة، سطحية، مؤدلجة أكثر من اللزوم. وكان أركون العدو اللدود للآيديولوجيا الامتثالية والشعارات الديماغوجية. أقول ذلك وأنا أتحدث بالطبع عن المشكلات التراثية: أي تشخيص مشكلات التراث العربي الإسلامي وصدامه المحتمل والمروع مع الحداثة والعصر. وهذا ما حصل بعد عشرين سنة أو أكثر قليلا صبيحة 11 سبتمبر (أيلول). في مثل هذه اللحظة بالذات كان حظا كبيرا لي أن ألتقي بمفكر في حجم محمد أركون ووزنه. ولم أكن قد سمعت باسمه من قبل قط. كنا نحن الطلبة العرب الوافدين إلى العاصمة الفرنسية للدراسة، نحلم جميعا بتحضير شهادة الدكتوراه في الآداب العربية، إما على يد جاك بيرك، وإما على يد اندريه ميكل. ولم يكن أحد يرغب في تحضيرها على يد أستاذ من أصل مغاربي. وهذا يعود إلى عقدة الخواجة كما يقول إخواننا المصريون، وإلى نظرة استعلائية قديمة للمشارقة على المغاربة. أيا يكن من أمر فقد وقعت في البداية على ندا توميش المصرية التي كانت رئيسة قسم اللغة العربية في السوربون آنذاك، على ما أعتقد. وبعد أن شرحت لها مشروعي لشهادة الدكتوراه أو في أثناء ذلك، دخل أركون فجأة إلى الغرفة. فصرخت قائلة: هذا لك! إنه أقرب إلى اختصاصك. وهكذا تخلصت مني عن طريق تكليف أركون بالإشراف علي وخرجت فورا. وأذكر أنه طرح علي أسئلة من هذا النوع: من أنت؟ ماذا تريد؟ ما هي تساؤلاتك؟ احك لي قصتك باختصار. وعندئذ شرحت له الوضع وطلبت منه مساعدتي على اختيار الموضوع للدكتوراه. ففكر مليا ثم خط على الورقة التي أمامه هذا العنوان: النقد العربي الحديث بين عامي 1950 - 1975. وهكذا كان. وبالفعل فبعد خمس سنوات من ذلك التاريخ ناقشت أطروحة دكتوراه تحت هذا العنوان في السوربون. في تلك الأيام كنت مهووسا بالشعر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحديث والضجة التي أحدثها في الساحة العربية. وهي ضجة فكرية أيضا، بل وحتى دينية، وليست فقط نقدية أدبية. وكان ذلك يناسبني تماما، لكي أصفي حساباتي على عدة جبهات دفعة واحدة. وكان ذلك يناسب أركون أيضا لأنه مختص أساسا بالنقد الفكري لا الأدبي. هذا في حين أني كنت ميالا إلى النقد الأدبي بالدرجة الأولى، ولكن مع انعكاساته الفكرية أو الأيديولوجية. هل أثر هو علي بعدئذ أكثر فأكثر بمرور الزمن وجذبني باتجاه الدراسات الفكرية والإسلامية المحضة والتخلي عن النقد الأدبي كليا؟ ربما. ولكن ينبغي العلم بأني كنت قد تركت سورية آنذاك والمشكلة الدينية أو التراثية قد استفحلت كل الاستفحال بل وانفجرت. وهذا ما حصل أيضا في ذات الوقت في مصر وكل المجتمعات العربية والإسلامية دون استثناء. وبالتالي ففي كل الأحوال كنت سأجد نفسي عاجلا أم آجلا مدعوا للانخراط في المعمعة: أي معمعة الصراع الفكري مع الأصولية. كان واضحا أنها ستصبح مشكلة العصر التي لا يمكن تخطيها أو القفز عليها بأي شكل كان. كان زئير الحركات الإخوانية والخمينية قد ابتدأ يسد الأفق ويقضي على الآيديولوجيات الماركسية والقومية والتقدمية ويكتسحها اكتساحا. إذ أقول هذا لا يعني أني كنت أتجاهل ثقل التيارات التراثية أو أستخف بها وبمشروعيتها التاريخية. ولكني لم أكن قد اكتشفت بعد الطريق المؤدي إلى تيار إسلامي تنويري وعقلاني يتجاوز النزعة الخمينية والإخوانية التقليدية. وهو ما يحققه أردوغان على المستوى السياسي حاليا إلى حد ما. أركون هو الذي ساعدني على هذا الاكتشاف عندما كشف لي عن إمكانية بلورة تأويل عقلاني وإنساني للإسلام: أي تأويل مضاد للتأويل السائد خمينيا كان أم إخوانيا.

في هذا المنعطف بالذات كان لقائي مع محمد أركون حاسما. وقد فاجأني إذ قال لي هذه العبارة أثناء الحديث: «عندما تبتدئ دروسي في الجامعة سوف تجد أجوبة على التساؤلات الحارقة التي تؤرقك». وأذكر أن هذه العبارة علقت في ذهني. فبعد أن تركته وخرجت أتمشى على غير هدى في شوارع باريس (متى كنت أمشي على هدى أصلا؟) قلت بيني وبين نفسي: لماذا هو واثق من نفسه إلى مثل هذا الحد؟ من هو حتى يقول ذلك وأنا لم أسمع باسمه من قبل قط؟ ما كل هذا التبجح والغرور؟ ولكن تساؤلاتي أو اعتراضاتي ذهبت كلها أدراج الرياح بعد أن ابتدأ الدرس الأسبوعي بالفعل. عندئذ كنا نخرج من الدرس ونحن دائخون من كثرة الاكتشافات والصدمات الفكرية والهزات والزعزعات. كل تصوراتنا التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ومدارسنا وجامعاتنا كان يفككها تفكيكا ويقدم لنا الصورة الحقيقية التاريخية محلها. وأتذكر أن أول مقالة كتبتها في حياتي كانت عنه. وقد اتخذت العنوان التالي: «جولة في فكر محمد أركون.. نحو أركيولوجيا جذرية للفكر الإسلامي». ثم أرسلتها من باريس إلى مجلة «المعرفة» السورية التي كان يشرف عليها آنذاك الأستاذ خلدون الشمعة والمرحوم محيي الدين صبحي. وعلى الرغم من أني كنت كاتبا غرا ومجهولا تماما آنذاك فإنها نشرت بشكل جيد في عدد فبراير (شباط) 1980: أي قبل ثلاثين سنة. وعندما وصلني العدد ذهبت به إلى أركون في مكتبه، وما إن قرأ العنوان حتى حدق بي من فوق نظاراته وكأنه يقول بينه وبين نفسه: ما علاقة هذا الشخص بالأركيولوجيا؟ بالأمس وصل إلى باريس والآن يستخدم أحدث المصطلحات في الساحة الباريسية! هل يعي معناها يا ترى؟ وهو مصطلح لميشال فوكو في الواقع. أو لكأنه يقول: لقد مسكني هذا اللعين في العصب الحساس وفهم ما أقصده بالضبط وهو بالكاد يعرف الفرنسية. والواقع أن كل فكر أركون ما هو إلا عبارة عن أركيولوجيا للفكر الإسلامي، إذا ما استخدمنا مصطلح فوكو الشهير، أو جنيالوجيا إذا ما استخدمنا مصطلح نيتشه أستاذ الجميع. بل ويمكن القول على طريقة سارتر بأنه جيولوجيا الفكر؛ لأن أركون يدرس كل أحقاب الفكر العربي الإسلامي المتراكمة فوق بعضها البعض كما يدرس العلماء طبقات الأرض الجيولوجية. وعندئذ يكشف عن القطيعة الأبستمولوجية بين العصور. المقصود هنا القطيعة الفكرية الكبرى التي حصلت بين العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية وعصور الانحطاط الطويلة. وكان دائما يموضعها مع لحظة اختفاء ابن رشد عام 1198.

كل فكر أركون إذن ما هو إلا حفر أركيولوجي في الأعماق التراثية، من أجل التوصل إلى أعمق طبقة؛ أي ظهور الإسلام وانبثاق القرآن الكريم. كان يريد أن يكشف النقاب عن هذه اللحظة التدشينية الكبرى المؤسسة لكل شخصيتنا التاريخية. وكان يستخدم كل أسلحة الفكر الحديث ومدرسة الحوليات الفرنسية والطفرة المعرفية التي طرأت على فرنسا إبان الستينات لكي يضيء تاريخ الإسلام بشكل لم يسبق له مثيل من قبل. وكان محللا عميقا ومشخصا للإشكاليات لا يضاهى. ويضحكني الآن بعضهم عندما يقولون عنه بأنه: مثير للجدل! لكأنه يمكن أن يوجد مفكر له معنى في التاريخ دون أن يكون مثيرا للجدل! ماذا فعل سبينوزا أو كانط أو هيغل أو ماركس أو نيتشه أو هيدغر.. إلخ؟ كل المفكرين الكبار كانوا مفككين للقناعات الراسخة السائدة في عصرهم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأخيرا، فإن أكثر شيء يحز في نفسي هو أنه رحل قبل أن يكمل مشروعه الفكري تماما، لأنه كان منخرطا في دراسات استكشافية هامة جدا وتحريرية. ولكن ما خلفه وراءه يكفي لتخليده إلى أبد الآبدين. إنه المحرر الأكبر لتراثنا الديني كله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

محمد اركون ومشروع نقد العقل الاسلامي:

تحرر من التفسيرات الماضوية وانفتاح على ما هو انساني ومواصلة السجال العقلي

ابراهيم درويش

القدس العربي

19-09-2010

يتميز خطاب المفكر الجزائري محمد اركون (1928- 2010) الذي توفي الاسبوع الماضي، باشتماله على قدر من المصطلح النقدي الخاص القادر على توليف مشروعه للنقد الذي عمل عليه طوال حياته للتراث الاسلامي وتحديد معالم مشروعه لنقد العقل الاسلامي واعادة قراءته لمفاهيم الاجتهاد والثقافة والمعرفة والحداثة وما بعد الحداثة، فكتابات الراحل اركون تحفل بمصطلحاتها الخاصة اما تلك المأخوذة من الخطابات الجديدة في الغرب- التركيبية والسيميائية وما بعد التركيبية وما يعتمد على مفاهيم انثروبولوجية وابتستمولوجية- معرفية واجتماعية كلها تحاول فهم التراث الاسلامي ونزع ما كان يراه الكاتب 'المثير' للجدل من اسطرة على مجمل التفسيرات الانسانية للنص المقدس وفتح المجالات امام الباحث للدخول في مناطق لا يحلم الباحث بالدخول فيها او ما يشار اليه 'ما لم يفكر به او اللامفكر به' وهو واحد من عناوين كتبه الكثيرة التي ترجمها للعربية تلميذه ومترجمه وبالتالي كاتب سيرته بطريقة غير مباشرة، السوري هاشم صالح.

اجتراح المعجم

وتشير عناوين كتب اركون الى اهتماماته النقدية والمعرفية من ناحية واجتراح المصطلحات من ناحية اخرى من مثل، القطيعة مع التراث، الفرق بين الاسلامي والاسلاموي والعلمنة والاسلمة، واللحظة القرآنية، ولحظة التفاسير، والارثوذكسية، ومؤسسة العلماء، والقطيعة الجذرية مع التراث، والمخيال، وتجربة المدنية ونموذج المدنية والاخيران نحتهما اركون في اللغة الفرنسية كما اشار صالح في اكثر من مكان خاصة في مقدمته لكتاب 'اين هو الفكر الاسلامي'. كل هذا، يؤكد انه كان لاركون مشروع للنقد، فقد كان يرى انه بدون مصطلح نقدي خاص ومنفتح على السياق المعرفي للعالم او الفكر فلن يزدهر الخطاب الاسلامي وسيظل خطابا مجترا يعيد تكرار لغة قروسطية لا محل لها من الاعراب، ولهذا انتقد اركون دائما ما رآه التعريب القسري او المفروض من قبل الدولة القومية الذي تم بدون التخطيط او فهم لمحتويات المجال المعرفي الحديث او المعاصر الذي يمارس فيه المفكر عمله.

نقد الجميع لانتاج الخطاب

لم يكن اركون في مشروعه معنيا بنقد المجال الاسلامي وتمثلاته وعلاقة التفسيرات التي بدأت بعد مرحلة التنزيل او الوحي الى لحظة التفسيرات ما رآه ظهور الارثوذكسية في الاسلام او ما يعرف بادبيات 'الاسلاميين' بتعبير الاشعري، اهل السنة والجماعة بل كان ناقدا ايضا للمجال الحضاري الغربي وفاعلا في السجالات النقدية الدينية داخل الكنيسة او مع آباء الحضارة الغربية. وكأي مشروع نقدي يستنفد الباحث احيانا ادواته النقدية ويتعب من التجديد ويؤول الى التكرار نفسه، اي يقع المشروع على نفسه وهو ما لوحظ في مشروع اركون النقدي للتراث الاسلامي اذ ان قارئه يجد نفسه امام نفس الافكار ونفس المعطيات والتعميمات النقدية، وهنا نجد انفسنا نقف مع فريد اسحق الذي كان واحدا من بين من نقدوا مشروع اركون النقدي ولاحظ نزوعه نحو التكرار، لكن اهم ما لاحظه اسحق ان مشروع اركون القائم على النقد في المجال المعرفي لا يلتفت بوعي او بدون وعي ان اي مشروع معرفي لا ينفصل عن 'السلطة' اي في اطارها المعرفي- سلطة العلماء وسلطة المعرفة، فهو وان اخذ، اي اركون، على العلماء المسلمين 'سلطتهم' الا ان مآل مشروعه النقدي ينتهي نحو بناء سلطة معرفية جديدة، لا نعرف حدودها. في المساقات الجامعية التي تدرس الفكر الاسلامي عادة يشمل اركون عندما يتم البحث عن 'تايبلوجي' او رسم خريطة لمسارات واتجاهات الفكر الاسلامي في قائمة العلمانيين الاسلاميين او العقلانيين، فهو عادة ما يصنف الى جانب فضل الرحمن او نصر حامد ابو الزيد والى حد ما مع محمد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عابد الجابري وكل هذه الاسماء ذهبت الى خالقها وغادرت الحياة تاركة افكارها لنا لكي نتجادل حولها. لكن وضع هذه الاسماء معا يظل تعميما ينقص كل تجربة تميزها واطارها الخاص، خاصة مشروع اركون لنقد العقل الاسلامي، الذي يرى انه يقف على منطقة مضادة لنقد العقل العربي، ولاركون اسبابه لرفض محاولات عابد الجابري حيث لم يتردد في رفض فكرة العقل العربي من اساسها ولم يتردد بوصف مشروع الجابري بالذهنوية والفوضوية والعنصرية.

المرارة

اهم ما يميز مشروع اركون هو المرارة فمنذ ان بدأت كتبه تترجم عام 1980 تم التعامل كما يتم التعامل مع كتابات عرب ومسلمين يعملون في المؤسسات الغربية باعتبارهم سدنة للفكر الغربي، وتعرض اركون للنقد والشجب ولا يزال يتعرض. وقد اشار اركون الى مظاهر المرارة والخيبة هذه عندما تحدث عن زملاء لم يعيروا ما ينشره اي اهتمام من ناحية تقديم النصح والنقد، وهناك زملاء حملوا كتاباته ما لا تحتمل وينسبون اليه ما لم يقله او فهموا ما قاله بطريقة مشوهة، وهناك جماعة ثالثة اعتبرت صعوبة المصطلح النقدي والاحالات الكثيرة والشروح المتعددة منه ومن مترجمه عاملا من اهماله واحتسابه على التيار المتغربن. وكان اركون واعيا للسجالات ضده وهاشم صالح يشير الى مشاكله التي عاناها في ملتقيات الفكر الاسلامي في الجزائر في حقبة الثمانينات، والتي يردها المترجم الى عدم فهم نقاد اركون له او لانهم ومعظمهم غير مطلع على الثقافة الغربية التي يكتب فيها. وهنا لا بد من الاشارة الى ان اركون اشار الى انه كان يكتب باللغات العربية والفرنسية والانكليزية وقد رأيته اكثر من مرة محاضرا بالانكليزية في لندن، حيث كان يدعى للمحاضرة وكان واحدا من المستشارين في برنامج الدراسات العليا للمعهد الاسماعيلي في لندن. كما دخل العام في مساجلة مهمة حول مشروعه في حوار مفتوح مع نخبة من الكتاب والتلاميذ في القناة المغربية الثانية. وتظل الفرنسية التي درس فيها وكتب فيها بيته الذي عبر عن افكاره من خلالها، وهذا لا يعيب مشروعه. كل هذا يعطينا ان اركون الذي ظل في السوربون يدرس فيها كان واعيا للسجالات حول كتبه وحول القضايا التي تشغل الفكر الاسلامي، فقد دافع في واحد من كتبه عن الاجتهاد عن فاطمة المرنيسي، الباحثة المهمة في شؤون المرأة والانثى وطريقة فهم التراث وموقفه منها، وهي الكاتبة لعدد من الدراسات المهمة ومثل اركون معظمها بالفرنسية.

كيف خسرنا التقاليد النقدية

اشرنا الى ان اركون اهتم بضرورة بناء مصطلح فكري 'معجم' حديث يزود الباحث المجتهد بذخيرة حية 'تجعل ما لم يمكن التفكير به منذ القرن الخامس عشر ممكنا اليوم وما لم يفكر به مفكرا به او ملموسا'. وكان يرى في هذه الخطوة ضرورة لدخول البحث الاسلامي في مجال عالم البحث الحديث بدلا من التقوقع والعيش على رؤية تمجيدية. الجانب الاخر من مشروع اركون يقوم على ما يراه التقاليد النقدية في الفكر الاسلامي، خاصة جهود ابن رشد والغزالي وابن تيمية وابن مسكويه وغيرهم من كبار المفكرين المسلمين الكلاسيكيين، والاحياء هنا لا يعني احياء افكارهم ومواقفهم ولكن استخدام الحس النقدي لديهم للتفكير في قضايانا المعاصرة، فاركون دعا وبشكل متكرر للتوقف عن مرحلة الانتاج الثيولوجي او الاسطوري والاستهلاك المخيالي للمعاني الى مرحلة الربط بين المعاني والتاريخية. ويركز اركون على اهمية نقد ما انتج في مرحلة ما بعد وفاة الرسول (ص) ليس للكفر به 'فهذا محال' ولكن من اجل تمحيص البحث التاريخي والتأكد من صحته، لان ما انتج بعد الرسول جاء نتاجا لعدد من العوامل والمؤثرات السياسية والثقافية والاجتماعية. وهنا يؤكد اركون كما هي عادته على ما تركه الفكر التقليدي من اثر على حرية البحث فهو يقول ان حجم المسافة بين القارئ المسلم المقلد وبين المسلم الباحث المتحرر من المعارف الخاطئة هو سبب القطيعة المفرطة اليوم. وهنا لا بد من الاحالة الى فعل القراءة كسبب من اسباب القطيعة، فاركون لا يبدو في خصام مع فعل التلقي او الوحي وتحول الوحي في مرحلته الثانية الى لغة انسانية ولكن مشكلته هي مع التفسيرات، ومشكلتنا مع اركون انه يفترض ان التفسيرات التي نشأت بعد عصر الرسول او في مرحلة التدوين والتمأسس كانت لديهم اجندتهم الخاصة، اي انهم كانوا منفتحين على التأثير والقولبة والتغيير باسم السلطة، من اجل مصالحهم. ومن هنا تبدو مؤسسة العلماء والمفسرين مجموعة من اصحاب المصالح الساعية باسم النص لاضفاء الشرعية على موقف من اجل الحفاظ على مصالحها. وهذا واضح من موقف اركون في قراءته للروايات التي جاءت حول آية 'الكلالة' في سورة النساء وما قدمه المترجم من ايضاحات تؤشر لما فهمناه.

ضرورة القراءة المفتوحة

ويظل مشروع اركون واحدا من القراءات المعاصرة المفتوحة على النقد او الرفض والشجب والاتهام كما اشرنا في البداية لكن جهد اركون يجب التعامل معه بموضوعية وان اتهم كاتبه باللاموضوعية من قبل اطراف حاكمت المفكر على مواقفه السياسية ونظرت الى تجربته باعتبارها جزءا من تجربة الاستشراق - مع انه نقده ورفض آلياته خاصة موقفه من الفليلوجيا التي جربها المستشرقون على التراث الاسلامي. والموضوعية تنبع من ان اركون كان يدعو الى احياء ما يراه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الموقف الديناميكي للفكر الاسلامي واخراجه من سكونيته فقد كتب يقول 'لم ازل منذ ثلاثين عاما (اي زمن صدور كتابه اين هو الفكر الاسلامي؟) ادعو الى احياء الموقف الفكري الديناميكي' للمفكرين المسلمين وفي 'الوقت نفسه ادعو الى التخلي عن مبادئهم ومقوماتهم ومناهجهم واشكالياتهم ونظرتهم للعالم والتاريخ والمجتمع' لماذا؟ يجيب اركون 'لان ذلك داخل في الفضاء المعرفي الخاص في القرون الوسطى عند المسلمين كما هو عند اليهود وسائر الثقافات الفكرية والمعرفية'. لهذا فاركون في تشريحه لحال الثقافة الاسلامية والمعرفة ومجالها ظل يرى ان التوتر بين الفكر العلمي (العقل) والظاهرة الدينية ظل قائما. ويضيف ان اكتشافه للجدلية هذه بين العقل والحق والتاريخ 'في اثناء معاشرتي الطويلة المستمرة للمفكرين المسلمين القدماء' ثم ' قابلتها بجدلية العقل الحديث' مضيفا ان المفكرين الغربيين تلقوا الحس النقدي من المسلمين في القرن السادس عشر وجربوها على سياقهم وأدت الى النتائج التي نعرفها. مع التوتر والانفصام وغياب العقل النقدي، يرى اركون ان اي نقد للعقل الاسلامي واحيائه يعني بالضرورة التخلي عن الصور التمجيدية والنمطية التي يقدمها المسلمون عن 'الفلسفة الاسلامية' وتاريخها المتواصل، ملاحظا ما هو اهم ان الفلسفة ظلت غائبة بتاريخها الكامل والمتواصل في معظم الجامعات والمدارس بالبلدان الاسلامية وان درست فيها من ناحية ناقصة.

نقد ليس متحيز لمدرسة معينة

اكد اركون ان مشروعه لنقد العقل الاسلامي منفتح على كافة المدارس الاسلامية ولا يعنى بمدرسة او اتجاه ضد اتجاه او تيار ضد اخر، بل هو منفتح على الثقافة الغربية التي يرى ضرورة فهمها والاخذ منها، فابن رشد والغزالي ان تأثرا في سجالاتهما بالاغريق والثقافة الهلينية فليس عيبا ان يقوم هو بالاستفادة من بول ريكور وجاك دريدا وميشيل فوكو، وقد وصف مشروعه بانه 'لا يتحيز لمذهب ضد مذهب ولا يقف مع عقيدة ضد اخرى من التي ظهرت وتظهر في التاريخ' مضيفا 'انه مشروع تاريخي انثروبولوجي في آن واحد، انه يثير اسئلة انثروبولوجية في كل مرحلة من مراحل التاريخ '. وعلى الرغم من تفهمه لدوافع ما يسميه الاسلامويين او الاسلام السياسي وسوء فهم الاستشراق لها من ناحية ان الاسلاميين هم نتاج او ضحايا الدولة القومية ـ نمو سكاني متزايد - قهر وتحرر من الاستعمار وخيبات الا انه ظل ناقدا لرتابة فكرهم وعدم نضوجه واكتفائه بالتعميمات واستناده على التفكير المخيالي ـ من الجانب الاسلاموي والغربي.

احترام للجانب السياسي عند الاسلامويين

وقد كتب قائلا 'انني احترم الجانب السياسي من الخطاب الاسلاموي لانه خطاب جيل طالع نشأ في الجو الايديولوجي الجديد' الذي فرضه الحزب الواحد. ومع ان اركون كان يرفض الموازاة في التحليل بين اطار جغرافي في مسألة الصراع بين الاسلام والغرب، ودين الا انه يرى ان العلاقة بين الطرفين تمت بناء على نمطية مخيالية، وبرزت تمظهراته في أسآلة الحجاب وسلمان رشدي والثورة الاسلامية في ايران. وحول الاخيرة كتب قائلا انه 'بينما حكمت الثورة الانكليزية على شارل الاول بالاعدام عام 1649 والثورة الفرنسية على لويس السادس عشر بالاعدام، ارادت الثورة الاسلامية في ايران ان تلقي القبض على شاه ايران واعدامه لتحول النظام الدستوري الملكي الى نظام امامي موسوم بمسلم'.

ضرورة فهم العلمانية

والأهم من ذلك فاركون في مشروعه يؤكد على اهمية الفهم والتفسير وسوء فهم للحداثة وما بعدها وحتى العلمانية التي يقول انها لم تفهم جيدا في العالم العربي وعاب في هذا الاتجاه على المثقفين المتنورين في عالمنا العربي خاصة الجابري وحسن حنفي اللذين فشلا في تقديم رؤية متزنة عن العلمانية، فاذا كان هذا هو حال المتنورين فماذا نقول عن العامة؟ كتب اركون الكثير من الدراسات التي تحتاج الى وقفات معمقة وقراءات متزنة لانها قراءات دعت الى النقد والتحرر من اسر القراءات النمطية ودعت لانفتاح النص، صحيح ان الكثيرين يرون في قراءاته التي دعت الى رؤية انسانية للنص او ما اسماه 'الانسنة' تجريدا للنص من قداسته لكن اركون ومن معه كانوا يرون ان انسنة النص لا تعني انهاء العلاقة بينه وبين اصله المقدس، اي يظل النص مقدسا في الاصل والفهم.

ضرورة التحرر من استراتيجية الرفض

ومن هنا اكد اركون على اهمية تحرر قارئه من 'استراتيجية الرفض' حيث تحدث عن تحررين في العالم الاسلامي الاول كان سياسيا من ربقة الاستعمار والان جاء تحرير العقل 'فكريا'. مشيرا في اكثر من مناسبة الى ان المدارس الغربية حرمت المسلمين او تحاول من انتاج خطاباتهم وتاريخها الخاص. يظل كتابه 'نزعة الانسنة في الفكر العربي' جيل مسكويه والتوحيدي من احسن كتبه هو رسالته للدكتوراة اذ انه سياحة فكرية في العصر الكلاسيكي وقراءة في الظروف والعوامل التي اثرت في مسكويه والتوحيدي، وفي الكتاب مجمل القضايا التي شكلت رحلته الفكرية، حركة الانسنة المجهضة، والعولمة والديمقراطية والاصولية والتأكيد على توافر الاسلام على مرجعيات فكرية تجعله قادرا على الاسهام

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في المسار الفكري الانساني. وللكاتب اجتهادات في فهم الاجتهاد ووقفات حول الفكر الاسلامي والاصولي ومحادثات حول وضع المسلمين في الغرب والعلاقة بين الاسلام والغرب. ظل اركون مشغولا باحياء دور العقل النقدي في قراءة التراث وتصحيح مسار القراءة له والعمل بجهد على انتاج معجم قادر على التصدي لمفاهيم العصر واحياء السجالات العلمية القديمة، والتحذير من الفهوم الشعبوية للتراث. ومع اعترافه ان الانفصام هو سمة الواقع الحالي للعالم الاسلامي وسبب تأخره الا ان الاسئلة الكبرى ومحدودية المجال الانساني امام ودوافع اركون للانخراط في النص والتفسير تظل محلا للتساؤل، فان كان المفسرون الاوائل قاموا بتفسير النص لخدمة مصالحهم فنقاد اركون سيظلون يطرحون اسئلة حول مشروعه ويثيرون زوابع ومعارك. وهذا هو جوهر المشروع.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

محمد أركون: أعني الجهاد الأكبر

مالك التريكي

2010-09-24

رغم أن نصوص الأستاذ محمد أركون تتسم بدرجة عالية من الكثافة التجريدية والاقتضاء المنهجي، فإنها تتميز بأسلوب فرنسي صقيل كثيرا ما تلتمع فيه مقاطع من بهيّ الومض الجمالي. إلا أن الهم الفكري الملح، المنصب على تحقيق مشروع كتابة تاريخ جديد للفكر الإسلامي من منطلق نقد العقل الديني، قد جعل كتابات الأستاذ أركون كتابات "لا ـ ذاتية" تكاد لا تظفر فيها بما يشي عن أي من تفاصيل سيرته أو ملامح شخصيته . ولهذا فقد سعدت عندما أهداني في مطلع 2006 كتابه الذي كان قد صدر للتو بالفرنسية (التي يؤلف بها جميع مقالاته قبل أن تترجم إلى العربية أو الإنكليزية) بعنوان 'النزعة الإنسانية والإسلام'. وكان مصدر سعادتي أن هذا الكتاب، الذي اعتنى بمخاطبة الجمهور الواسع في شؤون مفهومية وتاريخية كان البحث فيها مقتصرا على المتخصصين، يحتوي على لمع من سيرة محمد أركون الفكرية .

وتتبين أهمية هذه اللمع في ضوء ما كنا قد ذكرناه هنا، بمناسبة وفاة عبد الوهاب المسيري قبل أكثر من عامين، عن افتقار الثقافة العربية المعاصرة إلى تقاليد 'السيرة الذاتية الفكرية 'رغم أنها جنس أدبي شائع في الثقافات الأخرى.

التقيت الأستاذ أركون أول مرة عام 1992 في ندوة في بريطانيا كان من المشاركين العرب فيها فؤاد زكريا، ومراد وهبة، وحسين أحمد أمين وعزيز العظمة. في حفل الاستقبال قدمته إلى مدير إذاعات بي بي سي العالمية جون توسا الذي كان برفقة زوجته. علمان كل في مجاله لكن لم يسمع أحدهما بالآخر. كان جون توسا مذيعا تلفزيونيا شهيرا قبل ذلك. وهو الآن مدير مركز باربيكان للفنون في لندن.

من المفاجآت أن الأستاذ أركون كان يتحدث بإنكليزية طليقة غير معهودة، بل شبه منعدمة، لدى أبناء جيله من مثقفي المغرب العربي. جمعتني مائدة العشاء مع أركون والأستاذ الراحل ريمي ليفو الذي كان من أبرز الباحثين الفرنسيين المتخصصين في الشؤون العربية. تطرق بنا الحديث إلى الصحافة فأبديت إعجابي بهوبير بوف ـ ميري الذي أسس جريدة "لوموند" عام 1944 وظل مهووسا طيلة حياته بالحفاظ على استقلاليتها. كان معروفا بالاستقامة الأخلاقية وبالصرامة المهنية التي تكاد تبلغ حد التنسك. قلت إن ما بعض ما يرويه في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مذكراته عن مواجهاته مع الجنرال ديغول يكاد لا يصدق لفرط جرأته.

قال ريمي ليفو إن كان كتب ذلك فلا شك عندي أنه صحيح. أما أركون فقد قال باسما إن النزاهة التي كان يتحلى بها مؤسس لوموند لا يمكن أن تتأتى إلا للبروتستانت من الفرنسيين! تعليق فيه من الدعابة بقدر ما فيه من الجد بالنسبة لهذا الأمازيغي الجزائري الطاعن في دراسة الأنثروبولوجيا وعلم الأديان المقارن والعارف بطبائع المجتمع الفرنسي ذي الأغلبية الكاثوليكية.

عندما التقيته بعد ذلك بأربعة عشر عاما في باريس كان لا يزال يتقد حيوية شخصية وشغفا فكريا. حدثني طويلا عن ابن بلدته الروائي الشهير (بالفرنسية) مولود معمري. كان أركون من عائلة متواضعة مثل غالبية خلق الله. ولهذا فقد كان النجاح عنده ثمرة تحد وكفاح. أما مولود معمري، فقد كان من عائلة ميسورة، كما كان أبوه سالم 'أمين' البلدة. حظي معمري بالدراسة في السوربون في منتصف الأربعينيات وبقضاء فترة في المغرب مع عمه الوناس الذي كان مدير التشريفات لدى الملك محمد الخامس رحمه الله. من هنا فقد كان لتألق أركون، إزاء نجومية معمري، دلالة شخصية واجتماعية.

من الأشياء المحببة في شخصية أركون الودودة قدرته على الجمع بين عوالم وأزمان متباعدة. كأن يكتب مثلا أن أبا حيان التوحيدي يذكّره بكاتب حبيب إلى قلبه هو ألبير كامو. أو كأن يقول لك إن العالم الصوفي عبد القادر الجيلاني قد سبق منذ قرون إلى تعريف البحث الابستمولوجي المعاصر عندما قال 'نازعت الحق بالحق للحق'. يتمثل أركون بقولة الجيلاني مرددا، بل متغنيا، ثم يهتف: يا للجمال!

كان أركون (مع المفكر المغربي عبد الله العروي) من أبلغ المثقفين العرب معرفة بفكر بورقيبة السياسي. كان يعتبر أنه خطا خطوات صحيحة، لكن غير كافية، نحو التحديث الاجتماعي. في ندوة عام 1992 في بريطانيا تحدث أركون عن بورقيبة فلم يفهمه إلا القلائل. وفي عام 2006 تجدد الحديث عنه، فكان مما سطره إلي في الإهداء: '... مع الأمل أن نواصل جهادنا الفكري لتجديد الفكر العربي الإسلامي .باريس...' ثم انتبه، فأضاف: 'أعني الجهاد الأكبر!'

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

محمد أركون ... وصف استراتيجيته المعرفية النقدية

الحياة

السبت, 25 سبتمبر 2010

عبدالإله بلقزيز *

منذ أطروحته للدكتوراه عن مسكويه والإنسيّة العربية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، التي ناقشها في فرنسا قبل نيّف وأربعين سنة، أطلق الراحل الكبير محمد أركون تحدياً معرفياً بعيد المدى في ميدان الدراسات الإسلامية عنوانه الارتفاع بهذا الميدان الى مرتبة المجال العلمي المستقل الذي لا تتناهب حوزته وأطرافه علوم أخرى كالتاريخ والتاريخ الثقافي وتاريخ الأديان، ولكن الذي ينفتح عليها وعلى مناهجها - كما على مناهج علوم إنسانية واجتماعية غيرها - ويستدمجها في نطاقه الدراسي. وما انفكّ طيلة رحلته العلمية، وفي عشرات الدراسات التي أنجزها ومئات المحاضرات التي ألقاها في رحاب السوربون وغيرها من جامعات الدنيا، يدعو الى تأسيس هذا العلم - وقد أطلق عليه اسم الإسلاميات التطبيقية - وإلى إعماره وتأهيله بأدوات العلم وقيمه.

كانت خصومته الفكرية شديدة، منذ ستينات القرن الماضي، مع تيارين احتَكرا طويلاً قراءة تاريخ الإسلام الديني والسياسي والثقافي: تيار الباحثين المسلمين التقليديين ومحيطهم الأوسع من الفقهاء وعلماء الدين، وتيار الدارسين الغربيين للإسلام (= المستشرقين). يجمعه مع الأوّلين الانتماء الى الفضاء الديني والثقافي واللغوي نفسه، ويميّزه عنهم اختلاف إشكاليته ومقالته وغربته عن طرائقهم في التفكير والتأليف ويجمعه مع المستشرقين المشتَرَك المعرفيُّ والمنهجي المُستقى من المنابع الفكرية الغربية عينها، ويميزه عنهم انتماؤه الى المجال الذي يدرسه وبرّانيتُهم الإشكالية والنفسية عنه. ولقد يجوز أن يُقرأ تاريخ محمد أركون الفكري بما هو تاريخ جدال معرفيّ غير منقطع مع المقالتين الإسلامية والاستشراقية في الإسلام: منطلقات، ومفاهيم، وعقائديات، ومناهج نظر. أما دعوته - منذ وقت مبكر - الى تأسيس مجال الإسلاميات التطبيقية، في مقابل الإسلاميات الكلاسيكية، فدعوة الى قطيعة معرفية مع قراءتين سائدتين في مجال الدراسات الإسلامية يجمع بينهما - على اختلاف في الرؤى والمناهج - جامع موضوعي: التحالف غير المعلن ضد قيام مجال علمي خاص بدراسات الإسلام.

وزّع محمد أركون نقده للإسلاميات الكلاسيكية توزيعاً متوازناً، يكاد لا يخلو نصٌّ من نصوصه النقدية للخطاب الإسلامي - الأرثوذكسي من نقد للمستشرقين ومساهمتهم - المباشرة وغير المباشرة - في ترسيخ يقينيات الإسلاميين بما هو في حاجة الى فحصٍ نقدي. وبالمثل، يكاد لا يخلو نص من نصوصه المكرسة لنقد الخطاب الاستشراقي من نقد للعقل الفقهي الأرثوذكسي الذي يقيم من نفسه حجة على الإسلام في نظر الغربيين ويضع في حوزة الأخيرين ما يفيض عن حاجتهم من الأدلة على لا تاريخية العقل الإسلامي.

وسم هذا النقد المزدوج الاستراتيجية المعرفية لمحمد أركون وألقى الضوء على المساحات التي بدت له غائبة، أو مغيَّبة، في قراءات هؤلاء وأولئك لتراث الإسلام الديني والثقافي، وحاول - هو - أن يملأ حيّزاً منها بما كتبه من دراسات، أو أن ينبّه الى بعض ما يحتاج منها الى اهتمام واشتغال وتأسيس إشكالي من طرف الدارسين. وفي جملة أهمّ عناوين هذه الاستراتيجية المعرفية عند محمد أركون - ما تناوله منها درساً واشتغالاً وما دعا إليه على سبيل البيان والتبيين - خمسة مترابطة:

أولها، نقد ما سماه بالعقل الأرثوذكسي - الإسلامي ونزعته التقديسية التبجيلية للحقيقة. والعقل الذي عناه إنما هو العقل الفقهي الذي حوَّل النصوص الثانوية - المحيطة بالنص التأسيسي القرآني - التي مدارها على التفسير والتأويل واستنباط الأحكام (= التشريع) وتدوين الحوادث المرجعية (السيرة، التاريخ...) الى نصوص غير قابلة للمساءلة والنقد التاريخي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إن نقل القداسة من مستوى المطلق وإضفاءها على النسبيّ، ومنه هذا التراث الإسلاميّ البشري، وإحاطته بسياج دوغمائي يمنعه من النقد، هو جوهر استراتيجية هذا العقل الأرثوذكسي الذي يتنزّل منزلة سادن الحقيقة والقيّم عليها. لم تعد العلاقة بالنص الديني التأسيسي في تاريخ الإسلام، وفي امتداد سلطان ذلك العقل الدوغمائي، علاقة مباشرة يملك فيها المتلقي أن يتلقى خطاب الوحي في شروط المكان والزمان والموارد المعرفية المتاحة - وهي جميعها شروط متغيرة - وإنما باتت علاقة غير مباشرة، يتحكم بها وسيط هو مجموع تلك النصوص الثانوية منظوراً إليها بما هي القراءة الوحيدة والثابتة للحقيقة. وهكذا لا تلبث نصوص العقل ذاك أن تتحوَّل هي نفسها - من طريق لعبة الوصاية والوساطة هذه - الى حقيقة تمتنع على النقد التاريخي. وهكذا فإن تحرر الإسلام وتجديده إنما يتم - في نظر أركون - من طريق تحريره من هيمنة هذا العقل الأرثوذكسي عليه وكسر ذلك السياج الدوغمائي الذي يضع وعينا بالإسلام في حالٍ من الانسداد والانغلاق حادة.

وثانيها، نقد المركزية العَقَدية - الفقهية والكلامية - للعقل الدوغمائي الذي تتأسس فيه الحقيقة على السلطة. إذا كان نقد العقل إجمالاً يعني، عند محمد أركون، نقد الأبستيمي - الإسلامي المشترك (= بين العقل الفقهي والكلامي، والتاريخي والفلسفي...)، فإن نقد المركزية فيه إنما هو نقد حالة أيديولوجية يتماهى فيها العقل مع السلطة القائمة: يتكلم باسمها ويقوى بقوتها. وفي هذا التماهي بين العقل (= الحقيقة) والسلطة، يجرى إقصاء تيارات ومذاهب ومقالات أخرى لا يوافق عليها العقل الرسمي لأنها، في معياره، تنزاح عن الحقيقة والخط الصحيح ولا تقبل بها السلطة لأنها تمثل عنواناً فكرياً لمعارضتها. هكذا وقع إقصاء الخوارج والشيعة والمعتزلة والقائلين بالحلول من الصوفية والفلاسفة... في نظره. أما النصوص المرجعية التي رسمت قسمات «العقل الإسلامي» وحددت موضوعاته الكبرى كتفسير الطبري وتاريخه، ورسالة الشافعي، وإبّانة الأشعري، وإحياء الغزالي...» فلم تكن سلطتها المعرفية مستمدة من مصادر - وبمعايير - معرفية في نظر أركون (الذي يفضّل تفسير الرازي مثلاً أو الكلام المعتزلي أو نزعة الاجتهاد في الفقه الشيعي)، وإنما هي مستمدة من إرادة السلطة. ولقد توقف في عشرات الدراسات التي نشرها أمام ظاهرة هذه المركزية في العقل الإسلامي دارساً وناقداً ومفكِّكاً العلاقة المعقدة بين الحقيقة والسلطة في المجال الإسلامي.

وثالثها، نقد النظرة الاختزالية الى تاريخ الإسلام الديني والثقافي، الذاهبة الى حصره في الأثر المكتوب وتهميش - بل إطراح - التراث الشفوي والثقافة الشعبية انطلاقاً من تمييز معياري (ومفاضلة) بين الثقافة العالمة والثقافة البرية (العامية)، بحسب مفردات كلود ليفي ستروس، لمصلحة الأولى. ولا يتعلق هذا التهميش بتجاهل ما ينتمي الى التراث الشفوي في الماضي فحسب، بل ما ينتمي اليه في الحاضر. إن عدم الاعتناء بظواهر التديّن الشعبي وخطب المساجد وخطب الدعاة المتداولة على نطاق واسع عبر الأشرطة والأقراص المدمجة، وعدم الاهتمام بدراسة المتخيّل الجماعي والخرافة والفولكلور وغير ذلك من الظواهر مثال لذلك التهميش والإقصاء الذي يتعرض له جزء كبير من التعبير الثقافي والديني في مجتمعات الإسلام، ويكرّس تلك النظرة الاختزالية الى تراثنا.

ورابعها، نقد المناهج المستعملة في الدراسات الإسلامية لدى الباحثين المسلمين والمستشرقين، في صورها التقليدية المعتمدة على السرد والعرض والتفسير والشرح كما عند الإسلاميين التقليديين، أو في صورها الحديثة المعتمدة على الإسقاط الأيديولوجي والزمني والتأويل غير التاريخي أو غير الملتزم بمراعاة تاريخية الظاهرة المؤوَّلة، كما عند الدارسين المسلمين المحدثين، أو المعتمدة على التحليل اللغوي الذي يرد الأفكار الى أصول أولى مهدراً بنيتها الجديدة ساعياً الى نسف أصالتها، على ما يفعل المستشرقون الآخذون بمبادئ التاريخانية والمنهج الفيلولوجي بخاصة. وهو نقد يتلازم - في كتابات أركون - مع دعوات لم تنقطع الى الانفتاح على مناهج العلوم الإنسانية الحديثة وتوطينها في مجال الإسلاميات، مثل اللسانيات والسيميولوجيا والتحليل النفسي والمناهج التاريخية الحديثة (= مدرسة «الحوليات» الفرنسية) والأنثروبولوجيا وحفريات المعرفة (أو التحليل الأركيولوجي...)، مع اختبار لها ولمفاهيمها في كثير من دراساته وكتبه.

وخامسها، فتح مساحات للبحث في موضوعات مسكوت عنها وغير مطروقة في ميدان الدراسات الإسلامية، من تلك التي ظلَّ يصنّفها ضمن دائرة «اللامفكر فيه»، وهو المنسي أو المهمش، وضمن دائرة «غير القابل للتفكير فيه»، وهو الذي لا يتجرأ البحث على الاقتراب منه لأسباب تتعلق بالسلطة الدينية والسياسية والاجتماعية، لأنه في حكم المحرّمات والممنوعات في نظر تلك السلطة. ومع أن ما أقدم عليه من كسرٍ لنطاق المحظور قليل ومحسوب، إلا أن جرأته ظلت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

استثنائية في بابها: إذ كان في الإعلان عن عناوين الممنوع الذي ينبغي اقتحام منطقته، أو في الإلحاح غير المنقطع على وجود الإقدام على ذلك وحفز الباحثين عليه.

هذه عناوين الاستراتيجية المعرفية للراحل الكبير محمد أركون، الجامع بينها هو الروح النقدي الذي تميز به عن الباحثين العرب كافة في ميدان دراسي لا يتسع كثيراً للنقد في مجتمعاتنا وثقافتنا. ولقد دفع ثمن جرأته ونقديته غالياً: عزلاً وتشهيراً وتجاهلاً، وتحالف ضده الإسلاميون والمستشرقون لإسكاته، وما سكت، ظل يرفع صوته عالياً ضد كل الذين يُنظِّمون الصمت، ويقمعون الرأي ، ويكفّرون الأحرار، ويبدّعون المجتهدين. كان رجلاً استثنائياً في شجاعته وفي إيمانه بدوره المعرفي، وما كان يطلب الاعتراف به من أحد لأنه واثق بأن ما يقوم به سيُنصفه التاريخ ويذكره له.

* كاتب من المغرب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أركون: الفكر والسياسة في المغرب العربي

الحياة

السبت, 25 سبتمبر 2010

خالد عمر بن ققه *

«... علينا قراءة التراث بوعي من أول القرن الهجري إلى غاية سقوط الخلافة العثمانية، لأن هذا التراث يمثل مرجعية لاتخاذ قراراتنا ومواقفنا تجاه أنفسنا وعلاقاتنا المشتركة ومواقفنا من العالم، وذلك لن يتأتى إلا بتعميق دراستنا للعلوم الإنسانية والاجتماعية». الفقرة السابقة مقتبسة من حوار طويل أجريته في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، مع المفكر محمد أركون. لم أكن أعرف أن رؤيته تلك ستمتد عبر الزمن من خلال تفصيل ما وضحّه لاحقاً، فتكشف لنا بعد رحيله ما كان يراها واقعاً مأسوياً في العالم الإسلامي، وبخاصة في الجزائر.

تابعنا، بعد أن دفن محمد أركون في المغرب تنفيذاً لوصيته، تجاهل إنجازه المعرفي في الجزائر، وانشغال كثير من السياسيين وبعض المثقفين في بلاده، في ظل غياب شبه تام للمؤسسة الرسمية، باستثناء تعزية مقتضبة من وزيرة الثقافة، باختياره المغرب مدخلاً إلى العالم الأخروي. لقد كان محقاً حين كان يقول «نحن في المغرب»، وكنت أعتقد أنه يقصد المغرب العربي، ولكن بعد وفاته أدركت متأخراً أنه يعني المملكة المغربية. وكأن أركون الذي قضى عمره باحثاً عن حرية التعبير وحرية الفكر وحرية البحث، مطلوب منه أن يكون رهينة تباهي السلطة التي تحتكر الوطنية، وتضيّق مفهوم الوطنية والانتماء، وهي بذلك تزيد من مساحة الاغتراب والإنكار والتجني حين تنسى أو تتناسى أن المغرب على مر التاريخ، ومنذ مأساة الأندلس، مثّل موقعاً للمدارس الفلسفية وموطناً للحوار بين النخب، ونهايات لأهل الفكر باختيارهم أو بغيره. لنحتكم إلى فكره مرة أخرى، حتّى نتبيّن الطريق الذي تسلكه الجزائر على المستوى الثقافي، فقد ذكر لي مكملاً فكرته الواردة في بداية المقال: «إن قراءة التراث بوعي تحقّق هدفين رئيسين: الأول، مواجهة الجهل المؤسَس للجهل الذي تراكم لعقود من الزمن - وهو جهل بدوره - كما يرى أركون - أصبح مؤسساً عبر أجهزة الدولة، من خلال طغيان المجتمع وتحكمه ورفضه التطور والتقدم، وهذا أوجد لنا العنف خصوصاً العنف المجتمعي، وللقضاء عليه لا يمكن التعويل فقط على خطط الدول ومشاريعها في الوطن العربي، وإنما يتم من العمق بتثقيف المجتمع ووعيه بتراثه المنتقى والمصاغ بما يتطلبه العصر من زاد معرفي. الهدف الثاني، يمثل في نظره القضية الكبرى، وهي ذات أبعاد ثلاثة، أولها: البحث في شرعية الدولة ومشروعيتها في الوطن العربي، وثانيها: إيجاد المجتمع المدني وترسيخ قيمه، وثالثها: الاهتمام بالثقافة تعليماً وبحثاً وتطويراً.

فبالنسبة للقضية الأولى الخاصة بالجهل المؤسس، فإن التعامل الرسمي في الجزائر مع أفكار أركون، كشف عنه حين انتهى الأمر إلى رفضها في البداية، ثم الدخول معه في نقاش واسع إبان مؤتمرات الفكر الإسلامي التي ما كان يشرف عليها وزير الشؤون الدينية الراحل مولود قاسم نايت بلقاسم، الذي يعتبر عقلانياً وصاحب رؤية نقدية بالمقارنة مع من جاء بعده، ومع ذلك فقد نبتت بعيدات من الجزائر وتفاعلت معها النخب في الغرب وفي بعض الدول العربية، لكنها في المغرب قوبلت قبولاً حسناً، لأن المناخ الثقافي يساعد على طرح الأفكار الفلسفية، ناهيك عن أن أركون نفسه وعلى غرار كثير من عناصر النخبة الجزائرية ومنهم شاعر الثورة مفدي زكريا وسعت عليه المغرب بما رحبت بعد أن ضاقت به ومنه الجزائر على رغم اتساعها. من ناحية أخرى، فإنه لا يتساوى المهتمون بالفكر والإبداع عموماً في الجزائر، مع الإعلاميين، بخاصة الصحافة المكتوبة المستقلة، بخصوص دفن أركون في المغرب حتى أن الصحافي عز الدين ديدان تساءل في جريدة «وقت» الجزائر اليومية، عن استغرابه أشباه مثقفين من أصحاب الولاء السياسي والأدب (المناسباتي) وشعر التكلّف الموجّه عندنا، من دفن أركون في مدينة الدار البيضاء المغربية، متناسين أن الأخيرة احتضنته، حينما تنكّرت له الجزائر وقذفته النخبة المزيّفة لدينا بالزندقة وقيادة فكر ظاهره إسلامي وباطنه أوروبي، فوجد في المغرب - على غرار العشرات من مثقفي الجزائر الذين عاصروه وشائج التقدير، لما كان يجد في أوساطها الثقافية فضاء فسيحاً للتفاعل الفكري المثمر. القول السابق يشي باعتراف جزائري على مستوى النخبة بأهمية المغرب ثقافياً في حياة الجزائريين، وأن سنوات السياسة العجاف، لم تتمكّن من إحلال الجزر بدل المد بين الشعبين، وأن النخبة المثقفة لا يعنيها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كثيراً ما تتخذ سلطات البلدين من مواقف وإجراءات تخدم بالأساس رؤى تعتمد الشوفينية الوطنية مرتكزاً لتثبيت العلاقات الثنائية أو إلغائها. من ناحية أخرى فقد كان الحضور الثقافي المغربي الرسمي والنخبوي واسعاً أثناء تشييع جنازة أركون، وقد كان ذلك أحد الأسباب الرئيسة التي جعلت أركون يوصي بدفنه هناك، لعله يجد في ثراء المغرب دفئاً عجز عن الشعور به في بلاده الأصلية، الجزائر، أو في فرنسا موطن إقامته. وهو بذلك يكرّس موقفاً آخذاً في التبلور، قاعدته المستقبلية «الفكر أقوى من السياسة في المغرب العربي».

* كاتب وصحافي جزائري

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أركون: ناقد التراث الديني.. أغفل تقديم منهج «إصلاحي»

غسان الإمام

الشرق الأوسط: الثلاثاء 12 شوال 1431 هـ 21 سبتمبر 2010 العدد 11620
http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&issueno=11620&article=587715

أدهشني صائب سلام. فقد وجدت، على طاولته في حديقة «فيلاّه» في الريف الفرنسي، كتاب محمد أركون بالفرنسية (الفكر العربي / La Pensée Arabe). عجبت كيف وجد هذا السياسي اللبناني الكبير وقتا لقراءة الفكر والثقافة. وبصراحته المعهودة، أذكر أن الراحل سلام شكا من أنه يجد صعوبة في قراءة هذا المفكر الكبير المهتم بالإسلاميات. ومع أني أعتبر هذا الكتاب الأسهل والأكثر تبسيطا بين كتب أركون الكثيرة، فقد وجدت في الشكوى مرآة تعكس انصراف غالبية المثقفين والمفكرين العرب عن قراءة أركون.

مات أركون عن 82 عاما في ثلاثاء الأسبوع الماضي. خلال إجازتي القصيرة، اعتزمت أن أكتب عنه هذا الثلاثاء. لم أخش أن يسبقني إليه الكثيرون. كعادتي، فأنا لا أكتب تقريظا لراحل. ولا مدحا لمقيم. إنما أحاول أن أقدم بصراحة وأمانة صورة للسلبيات والإيجابيات. ولدهشتي أيضا، فقد انصرف أركون فجأة، بلا استئذان. لم يثر ضجة كبيرة، كتلك التي أثارها رحيل إدوارد سعيد (2003)، أو نصر حامد أبو زيد الذي رحل في يوليو (تموز) الماضي.

لماذا هذا الانصراف العربي والإسلامي عن أركون؟ السبب الأول كون أركون كتب بالفرنسية المجهولة نسبيا لدى معظم المثقفين والمفكرين العرب. لماذا كتب بالفرنسية، وهو الجزائري الدارس للعربية في جامعة الجزائر؟ لأن أركون خرج من أسرته الأمازيغية (البربرية) المتدينة إسلاميا، لينتمي إلى عالم الثقافة الفرانكفونية. هذه الثقافة المشتبه بعدائها، لدى المثقفين والإسلاميين العرب، لعروبة المغرب، وخصومتها للتعريب وللثقافة الدينية.

تخرج أركون الشاب في جامعة الجزائر في عام 1954. لم يلتحق بالثورة الجزائرية ضد الاستعمار التي ألهبت الجزائريين، عربا وأمازيغ. آثر الذهاب إلى فرنسا لمتابعة دراسته الأكاديمية المهووسة بالإسلاميات. أركون، كمفكر عميق البحث في تاريخ الفكر العربي والإسلامي، ظل يكتب ويقول أكثر من أربعين سنة. بالغ في نقد التراث. راح يكرر نفسه. مع ذلك، كأستاذ جامعي في السوربون، لم يتمكن من تشكيل قاعدة «شعبية» له من تلامذته. لبقائه في إطار الثقافة الفرانكفونية / الأمازيغية.

امتلك أركون ذكاءً حادا. ركز نقده على العقل والفكر في الإسلام. التزم الكلام العام في نقد الأصول (القرآن. الحديث. الشريعة). تركيزه على العقل جنَّبه تكفير وزندقة الإسلاميين له. لكن صعوبة قراءة أركون، في الفرنسية وتراجم الآخرين له إلى العربية، تعود إلى تطبيقه نظريات النقد والتفكيك والتشكيك، في الفلسفة والعلوم الإنسانية الحداثية الغربية، على التراث الديني الإسلامي، بحيث كان الإبهام والالتباس شديدا، بحكم كون الإسلام ثقافة وحضارة مختلفة كليا عن الثقافة والحضارة الغربية.

في كل معالجة فكرية وثقافية نقدية، هناك محصِّلة يبني عليها الباحث والمفكر رؤية تفصيلية لمشروع بديل، أو على الأقل لنهج إصلاحي، وتغيير معدِّل. ظل أركون يقول منذ ثلاثين عاما إن لديه نهجا لتطوير الفكر التراثي التقليدي. بشَّر بعلم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سمَّاه «علم التطبيقات الإسلامية». لكن لم يقدم التفاصيل. لم يرسم طرائق العلم الجديد. قال إنه ترك المهمة لغيره لمتابعة المشوار!

لماذا لم يستكمل أركون نقده بالبناء؟ امتلك الجرأة في الهدم. لم يمتلك الجرأة في الإعمار. الأرجح أنه في مأمنه وملاذه الغربي، خشي من غضبة الإسلاميين التكفيريين و«الجهاديين» وملاحقتهم له. كما فعلوا مع أمثال سلمان رشدي الذي جاهر بالمحظور والمحذور، و«بالذي لا يمكن التفكير أو الحديث عنه»، على حد تعبير الخائف أركون.

وهكذا، لم يصل أركون إلى مرتبة المفكرين الإسلاميين الذين قدموا مشروعا أو نهجا إصلاحيا: الأفغاني في السياسة. محمد عبده في التربية وتطوير المعاهد الدينية. علي عبد الرازق في القضاء وأحكام الشريعة. رشيد رضا وحسن البنا في تحزيب الدين. ونفي الشيعة وغير المسلمين من الانتماء إلى الحزب الإخواني. شكيب أرسلان في الارتداد إلى العروبة عن الخلافة الدينية (العثمانية). سيد قطب وابن لادن في تكفير الدولة، وزندقة المجتمع (الجاهلي). إدوارد سعيد في كشف الاستشراق المعادي للعروبة والإسلام. وأخيرا نصر حامد أبو زيد الذي حاول قراءة وتفسير النص القداسي، خلافا للاجتهاد التقليدي.

بل وصم أركون مستشرقي القرن العشرين، بالبعد عن معالجة واقع المجتمعات العربية والإسلامية. غير أنه هو نفسه لم يهتم بالقضايا التي تشغل الإسلام الأوروبي: الهجرة. الإقامة. الفقر. التخلف. بطالة شباب الضواحي غير القادرين، أو بالأحرى، الممنوعين من الاندماج في مجتمعات المدن (العنصرية).

وكما لم تجتذب الثورة الجزائرية المفكر أركون، فهو أدان الاستعمار، بشكل عام، من دون أن يتأثر بما حدث لعروبة فلسطين، وللاستيطان اليهودي الشبيه بالاستيطان الأوروبي الذي اقتلعته الجزائر، من دون أن يشارك هو في الاقتلاع.

أستطيع أن أصف أركون بـ«المستشرق الآتي من الشرق»، فيما كان أكثر مستشرقي القرن العشرين أهمية آتين من الفرانكفونية (المستعربة) المتعاطفة مع الإسلام العربي: لوي ماسينيون اهتم بالتصوف. الماركسي ماكسيم رودنسون اعتبر الإسلام الجديد نوعا من الوطنية لحماية الهوية. وقرأ المجتمع العربي قراءة تحليلية لآلامه. جاك بيرك قرأ القرآن. ترجمه. ركز على جمالية الأدب واللغة العربية.

كلما قرأت أركون أشعر بأنه غير متعاطف مع التراث الديني الذي أمعن في دراسته ونقده. بل تجنب أمانة البحث العلمي والأكاديمي عندما انحاز، من دون تقديم تفاصيل واسعة، إلى المذهب الشيعي، بحجة أنه أكثر انطلاقا وانفتاحا في قراءة القرآن. بل أسند إلى التشيع الفارسي «قوى الخيال الإبداعية». لعله وجدها لدى «المبدع» نجاد.

تجاهل أركون نقد نظرية السلطة والحكم في التشيُّع. تجاهل حصرهما، احتكارا، في آل البيت. تجاهل معصومية الإمامة عن الخطأ والنقد. تجاهل الرؤى العينية التي تراود «المبدع» نجاد.

إذا كان أركون، في قراءته الإسلام، تأثر بفلاسفة التفكيك وعلماء الاجتماع الغربيين، فلعله تأثر، في قراءته وانحيازه للإسلام الشيعي، بالمفكر أدونيس وبطانته. فقد أحاطوا بأركون منذ أواسط الثمانينات. أدونيس في نقده التراث الديني، كان يستهدف، كأركون، المرجعية السنية. أدونيس بدوره أيضا، تجاهل نقد المذهب الشيعي، على الرغم من أن هذا المذهب لا يعترف بشيعية الطائفتين العلوية والإسماعيلية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في اغترابه الفرنسي، استفاد أدونيس من أركون الذي قدمه إلى مفكري الفرانكفونية الفرنسية، اعتقادا من أدونيس أنهم يخدمونه في مشروع «نوبلته»، فيما استحى أدونيس من تقديم أركون إلى جمهوره «العلماني» العربي.

رحم الله أركون. لم يفكر في «النوبلة» وهو حي. ربما يخطفها وهو ميت من أدونيس. على أية حال، لم يكن الراحل أركون يُداني أدونيس في جمالية نثره العربي. يكفي أركون فخرا أنه لم يقل شعرا منثورا. لم يساهم معه في إتلاف ذائقة الشعر الموسيقية في السمع العربي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الديني والإنساني في فهم الإسلام وتطبيقه

الحياة

السبت, 02 أكتوبر 2010

إبراهيم غرايبة

نحتاج أولاً - ولا بأس من تكرار القول في ذلك - للتمييز بين الإسلام باعتباره نصاً دينياً مقدساً وبين التطبيق العملي للإسلام أو الخطاب الإسلامي، وفي المجال السياسي، فإن الخطاب الإسلامي هو عملياً «الفكر السياسي للمسلمين» وليس الفكر السياسي الإسلامي، هذه المقولة ضرورية جداً للمجتمعات والجماعات والدول حتى لا يعتقد أحد أن فهمه وممارسته للإسلام هي الإسلام نفسه، ومن ثم شرعنة الاستبداد وتكريسه باعتبار ذلك ديناً وأمراً إلهياً، فالمسلمون أنتجوا على مدار التاريخ فكراً سياسياً ونماذج في الحكم والإدارة تعددت في تطبيقاتها وقربها أو ابتعادها عن الإسلام وعن العدل والتقدم والتخلف والاستبداد، وكان «الإسلام» حاضراً فيها جميعاً باعتباره مصدراً للفهم أو أداةً لدعم الحالة القائمة، وتأثر المسلمون في ذلك بالبيئة الاجتماعية والفكرية التي تشكلت وبموجات الفلسفة والتصوف والفكر والنهضة التي هبت على العالم، وفي قيادتهم للعالم فترة طويلة من الزمن، فقد أعطى المسلمون للحضارات وأخذوا منها، واقتبسوا من النماذج القائمة في السياسة والفكر والفلسفة وتأثروا بها وأضافوا إليها أيضاً.

وهنا تكونت إشكالية معقدة يحتاج فهمها وتحليلها الى رؤية مركبة ونسبية أيضاً، ففي تطبيقهم للشريعة الإسلامية في الحكم والإدارة وسائر شؤون الحياة لم يكن المسلمون في ذلك ينشئون «دولة إسلامية» ولكنها دولة تطبق الشريعة الإسلامية. وكفى، فلا يعني تطبيق الأحكام المحددة والواضحة في الشريعة الإسلامية قيام دولة إسلامية، أو أنه يعني أن ثمة نماذج كثيرةً جداً غير محدودة وغير معدودة للدولة الإسلامية، وكلها دول إسلامية، لا ينفي الإسلام عنها مخالفتها للإسلام - وقد يكون اعتبارها مخالفة فهماً بشرياً للنصوص، وليس بالضرورة حكماً نهائياً بالخروج عن الإسلام - ولا يجعلها إسلامية أنها تطبق أحكام الشريعة الإسلامية إن كان ثمة حكم فقهي محدد اسمه «الدولة الإسلامية» فهو مصطلح جديد ناشئ، لم يعرفه التراث الفقهي الإسلامي، وإن شغل كثيراً وبمستويات مختلفة وطرائق متعددة ومتباينة في الحكم والسياسة. بل إن الحركة الإسلامية التي ألصق بها اليوم مفهوم «الدولة الإسلامية» باعتباره فكرتها الأساسية، لم يرد المصطلح في نصوصها التأسيسية والمرجعية، مثل القانون الأساس لجماعة الإخوان المسلمين الذي أقر عام 1948 قبل وفاة حسن البنا مؤسس الجماعة، ولم يوضع أيضاً في القانون الأساس لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن.

أهمية هذه المقولة أن «الإسلامية» في النظام السياسي على الأقل هي حالة يملك أن يدعيها أي فرد أو جماعة أو دولة أو نظام سياسي، قد يكون بعضها أقرب من بعضها الآخر إلى جوهر الإسلام ومقاصده، ولكنها ليست حكماً فقهياً محدداً وملزماً للمسلمين أو يمكن أن تدعيه دولة أو جماعة أو فئة من الناس، وتسعى في فرضه على الناس، أو تسويق نفسها على أساسه، أو تدعي بذلك شرعية تلزم الناس بها، وتصادر حقهم في الاختيار والمعارضة، أو تستند إليه في ادعاء الصواب والحق. بل إن البعض، أفراداً وجماعات وحكومات، استخدم هذا الشعور بالإسلامية ليبرر لنفسه الاعتداء والاستبداد وانتهاك الحرمات وارتكاب المحرمات، معززاً جريمته بأسوأ منها، وهي فقدان الضمير والوازع الإنساني الذي كان على مدى التاريخ رادعاً للناس عن الجرائم والمحرمات، وفقدان الشعور بالخطأ والندم بل والشعور بالصواب والارتياح أمام ارتكاب الأخطاء والمحرمات والجرائم، وهنا فإن التدين يصبح حالة خطيرة على الذات والمجتمعات والعدالة والحريات.

فالإسلام وإن كان نصاً واحداً فإنه متعدد في الفهم والتطبيق والتجارب على نحو يجعله مورداً يتنافس الجميع على الاستفادة منه وتوظيفه، ولكن أحداً لا يملك أن يحتكره أو يدعي الحقيقة في فهمه واستيعابه وتطبيقه، أعتقد أن هذه الفكرة تمثل خطوةً أساسيةً وأولى لتحرير مفهوم الدين من الاستبداد والاستغلال.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولكن الأمر يتجاوز ذلك بكثير، فالشك (مبدأ الريبة) بدأ يسود حتى في العلوم التي كانت تبدو يقينية مثل الفيزياء. وبطبيعة الحال، فإنها تمتد إلى كل الجهود الإنسانية في الفهم والتأويل.

وقد أعادت وفاة نصر حامد أبو زيد، ومحمد أركون مجدداً الجدل بين الاتجاهات والتيارات الإسلامية (بالمفهوم الشامل والعام للمسلمين) وهو بالمناسبة جدل قديم جداً، يعود إلى القرن الأول الهجري، عندما اتضح بقوة بظهور جماعة أهل العدل «المعتزلة» في مواجهة أهل الحديث، أو أهل الرأي/ العقل وأهل النقل/ النص، ثم تحول الجدل إلى صراع سياسي كبير وخطير في عصر الخليفة العباسي المأمون ومن بعده، ولم يتوقف بعد ذلك وإن كانت الغلبة بعامة لأهل «النقل» ولكن ذلك لم يمنع تواصل ظهور علماء ومفكرين وحالات عقلية كانت تصعد أحياناً وتتراجع أحياناً أخرى.

إذا كان النص الديني يحتمل معانيَ وقراءاتٍ عدة وفق المناهج المتبعة وحدود اللغة وظروف الزمان والمكان والبيئة المحيطة بالإنسان، وهذا ما كانت عليه الحال طوال التاريخ الإسلامي، فإن تجدد او تغير فهم النصوص وتطبيقها سيتواصل عبر التطور الإنساني واختلاف المجتمعات والحضارات، وبالمناسبة فإن هذا ما يسلكه كثير من أصحاب المواقف المناهضة للفصل بين النص والمعنى والتطبيق، ولكنهم يبيحون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم.

يعتقد مفكرون مثل نصر حامد أبو زيد، ومحمد الطالبي ومحمد أركون أن معرفة العالم وإنتاج المعنى هما مسؤولية الإنسان وحده، وهذا يعني إسناد الأهلية الى الإنسان لفهم هذه النصوص وتدبرها (الأنسنة)، وتتصل الرؤية الحديثة لمسألة القراءة اتصالاً وطيداً بمسألة تعدد المعنى، وخصوصاً في ما يتعلق بالنص الديني. وفي ما يتعلق بالتعامل مع النص القرآني تنهض منهجية الشرفي على قراءة النص في كليته بعيداً من ضروب الإسقاط والانتقائية، واعتماد القراءة المقاصدية للنص وتجاوز الرؤية الحرفية له.

وأما محمد أركون فيسعى إلى نقد العقل الإسلامي بوضع التجربة الدينية بكل أنواعها من تفسير وحديث وعلم كلام وفقه باعتبارها نتاجاً بشرياً يحق للدارس نقدها وتفكيكها وتجاوزها. ويدعو أركون إلى «العقل المنبثق حديثاً» الذي يعتمد فكرة التنازع بين التأويلات بدلاً من الدفاع عن فكرة واحدة في التأويل، ومن شروط هذا العقل ألا يتورط في بناء منظومة معرفية تؤصل للحقيقة، ويتبنى أركون النقد المنفتح على آخر مكتسبات علوم الإنسان والمجتمع، ويطبق القراءة الحية والمتحركة، لأنها قراءة تشكل ما هو بديهي، وتزحزح المفاهيم التقليدية من مواقعها لتفكيكها من النسق الذي ركبت عليه في الوعي الإسلامي. فهو يحاول أن يخضعها باستمرار للتحديات التي تطرح على التاريخ المقارن للأديان، ويقترح أركون إعادة النظر في العلوم الإسلامية، التي شكلت منهجاً وسبيلاً إلى فهم النص القرآني ومن بينها علم الناسخ والمنسوخ، وعلم أسباب النزول وغيرهما، التي تكشف في رأيه التلاعبات الخطيرة التي يقوم بها العلماء.

هل يتغير فهمنا للنصوص والتراث الإسلامي عند قراءتها وفق منتجات الحداثة والتقدم والمناهج العلمية؟

دأبت فئة معينة في كل ديانة على تحديد قواعد لعملية القراءة وضبط من له أهلية القراءة، ولكن المشروع التأويلي الجديد ينفتح على قطاع متنوع من القراء ذوي مشارب مختلفة، وهم يطبقون مناهج حديثة، ويعتمدون أدوات قراءة متنوعة مستمدة من حقول معرفية شتى، كالإنثروبولوجيا بفروعها، وعلوم اللسان بمدارسها، أو هم على الأقل يدعون إلى الانفتاح على مكتسبات العلوم الإنسانية وإلى تجديد أدوات القراءة، فالموقف النقدي الذي يبلوره المجددون للنص يقوم على مراجعة مفهوم النص الإسلامي، ثم ارتكزوا على توسيع حدود النص ليشمل إلى جانب النص الرسمي النصوص الهامشية التي أقصاها الفقهاء والعلماء الرسميون.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومن مرتكزات الموقف النقدي لـ «المجددين» أنه ينظر في المستوى التأويلي، أي علاقة النص الديني بقراءته، لأن النص القرآني برأي التيار التجديدي كان عرضة لمختلف ضروب القراءة الإسقاطية، سواء بالاحتجاج بأجزاء من آيات لا آيات كاملة، أو باقتطاع آيات من سياقها التاريخي وسياقها النصي. وبرأي هذا التيار، فإن الكثير من الأحكام التي أحاطت بفهم المسلمين لطبيعة النص ووظيفته في الحياة الروحية للمسلمين لا تعدو أن تكون أحكاماً تاريخية، فهي بالتالي أحكام قابلة للمراجعة وللمساءلة وللنقض، بخاصة أن القراءة التقليدية للنصوص المقدسة تتبنى الإيمان بواحدية المعنى وثباته، واعتبار كل اختلاف في المعنى قصوراً، وتعتبر التفسير الرسمي للنص المقدس هو التأويل الوحيد المطابق للمعنى الأصلي.

إن القراءة الحديثة للنص تقوم على سؤال مركزي: هل الإنسان هو الذي ينتج المعنى أم أنه معطىً إلهي فوقي يصاحب الكتاب المقدس؟ ولا يمكن بالطبع الجزم بصواب أو خطأ أي من المناهج المتبعة، والأهم من ذلك كله لا يمكن نسبة الصواب أو الخطأ بالإطلاق إلى اتجاه محدد في الفهم والتأويل، فكلاهما معرض للخطأ والصواب والهوى واللبس، ولكن استمرار هذا الجدل او رعايته هو الذي يضمن لكل الاتجاهات والأفكار أن تتحرى دائماً النزاهة والعلمية والدقة لتقترب من الصواب، وهذا هو المطلوب.

This file was downloaded from QuranicThought.com